**افتراض الاعتراض ومناقشته**

مبحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**Ahmedmsamir54@gmail.com**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى افتراض الاعتراض ومناقشته**

**الكلمات المفتاحية – الاعتراض، مناقتشته، اسلوب**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة افتراض الاعتراض ومناقشته**

* **.عنوان المقال**

**افتراض الاعتراض ومناقشته: وهو أسلوب حاول به ابن جني استكمال جوانب التوجيه، وإعطاء صورة دقيقة للوجه النحوي المقرر، ويقوم هذا الأسلوب على افتراض سؤال يتعلق بجانب من جوانب موطن المخالفة، يعرفه هو جيدا، ولكنه يورده على صيغة سؤال أو اعتراض، ثم يتكفل بالإجابة الشافية عنه.**

**ولقد تنوعت أغراض هذا الأسلوب، ولكن الغالب عليها كان إبعاد بعض الاحتمالات القريبة عن ساحة التوجيه، فقد ذهب أبو الفتح في رفع "شيخ" من قراءة: "وهذا بعلي شيخ" إلى أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو خبر لهذا، أو بدل من بعلي، أو أن شيخ مع بعلي خبر واحد لهذا، ولكنه أراد أن ينفي وجهًا آخر، فقال: فإن قلت: فهل تجيز أن يكون بعلي وصفًا لهذا؟ قيل: لا؛ ذلك أن اسم الإشارة لا يوصف بالمضاف.**

**وقد تكون الغاية منه إدحاض معنى متوهم، توجيه القراءة الشاذة، أو ترجيح وجه على آخر، أو دفاعا عن وجه قرره، أو توضيحًا من المذاهب، وقد تكون الغاية تعليلًا لبعض الأحكام التي يقررها، فقد ذكر أن قراءة النبي: "فبذلك فلتفرحوا" على أصل الأمر في دخول اللام، وأنه لما كثر أمر الحاضر حذف حرف مضارعه، ثم جيء بهمزة الوصل؛ للتمكن من النطق بالساكن، ثم عقب على ذلك بقوله: فإن قيل: ولم كان أمر الحاضر أكثر حتى دعت الحال إلى تخفيفه لكثرته؟ قيل: لأن الغائب بعيد عنك، فإذا أردت أن تأمره احتجت إلى أن تأمر الحاضر؛ لتؤدي إليه أنك تأمره.**

**وقد تكون الغاية حسمًا لأمر المتنازع فيه، وذلك نحو تجويزه القياس على الشاذ إذا اقتصر السماع عليه، وقد فعل ذلك في قراءة ابن مسعود: "ليس البر بأن تولوا وجوهكم" التي قاس فيها زيادة الباء على زيادتها في فاعل كفى، قال: فإن قلت: "فإن كفى بالله" شاذ قليل، فكيف قست عليه ليس، ولم نعلم الباء زيدت في اسم ليس، إنما زيدت في خبرها نحو قوله تعالى: {ﭩ ﭪ} [النساء: 123]؟ قيل: لو لم يكن شاذًا لما جوزنا قياسًا عليه، ما جوزناه، ولكنا نوجب فيه البتة واجبًا فاعرف.**

**لقد استغل ابن جني هذا الأسلوب؛ للإحاطة بكل ما يمكن قوله في الشواذ، وهو أسلوب رشيق، يجذب القارئ، ويبعد عنه الملل، والجفاف في قضايا نظرية، وغير خاف ما فيه من اعتداد ابن جني بعلمه، وثقته البالغة بنفسه، فضلًا عن إضلاعه بالمنطق، وتطبيق ذلك في هذه التوجيهات.**

**بعد ذلك ننتقل إلى تساند العلوم: يؤمن ابن جني أن علوم العربية متكاملة فيما بينها، ويتصل كل منها بالآخر اتصالًا محكمًا، هو يقول في (سر الصناعة): أفلا ترى إلى تساند هذا العلم، واشتراك أجزائه، حتى أنه ليجاب عن بعضه بجواب غيره، لقد أفاد الرجل في هذا المنهج في تخريج عدد من الشواذ، فاستعان بمعرفته اللغوية الواسعة، وحذقه لعلم الصرف، وقوانينه، وتذوقه لجمال اللغة العربية، كما استعان بمعرفته لعلم العروض، ووحد بين هذه العلوم؛ حتى بدت عنده وحدة لغوية متآلفة، يصعب التفريق بينها، وقد اتخذ من علم الصرف وقوانينه متنفسًا واسعًا لتفسير بعض الوجوه النحوية، فقد عاد في قراءة الأعرج: "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب" إلى علم الصرف، ورأى أنها كانت "لمن ما"، وأن "من" زيدت على مذهب أبي الحسن الأخفش في الواجب، فالتقت ثلاث ميمات فحذفت الأولى منهن، وبقيت "لما" مشددة، وأنها لو فك الإدغام لصارت "لمَا"، ولكن النون أدغمت في الميم.**

**ووقف عند قراءة السلمي: "ألم تر إلى الملأ"، وقرر أن النكتة في تسكين الراء:ألم تر إلى الملأ لتسكين الراء صرفية أيضًا، فقال: هذا لعمري هو أصل الحذف "رأى، يرى"، إلا أن أكثر لغات العرب فيه تخفيف همزته بحذفها، وإلقاء حركتها على الراء قبلها على عبرة التخفيف، وصار حرف المضارعة كأنه بدل من الهمزة، فابن جني يعود دائمًا إلى الصرف يستنطقه العلة في توجيه الشواذ، وكأنه يؤمن بأن الصرف هو الأصل، والمصدر لكل علوم العربية.**

**وإذا كان أعياه النحو في تخريج القراءة، ولم يسعفه الصرف لاذ بالأصل النحوي، أو اللغوي المسموع يستنطقه السبيل إلى أصل الأفعال في تعديها، ولزومها، واختلاف الأحرف التي تتعدى بها.**

**نذكر من ذلك: توجيهه لقراءة بلال بن أبي بردة: "ولا تخسروا الميزان"، فقد قرر أنها على حذف حرف الجر أي: تخسروا في الميزان، فلما حذف الجر أفضى إليه الفعل فنصبه، فأصبح كقوله تعالى: {ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ} أي: في كل مرصد، وهو قد يربط النحو بالبلاغة، ويوحد بينهما، فقد علل الرفع في قراءة ابن يعمر: "كبرت كلمة" بأنه قد سمى قولهم: "اتخذ الله ولدا" كلمة، كما سموا القصيدة، وإن كانت مائة بيت كلمة، وأنها كوضعهم الاسم الواحد على جنسه، كقول العرب: "أهلك الناس الدرهم والدينار" وذهب الناس بالشاذة والبعير، وكقول الحجاج على منبره: "يا أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، قال: ألا تراه لما أشفق أن يظن أنه يريد رجلا واحدًا بعينه قال: وكلكم ذلك الرجل، كما حمل بعض القضايا على علم العروض.**

**لقد وحد أبو الفتح بين فصائل العربية، ومزج بينها مزجًا أصيلًا عجيبًا، ووظف ذلك كله في خدمة الوجه النحوي، فهو يأخذ على عاتقه التصدي لكل الشواذ، ولو قاده ذلك إلى المبالغة، والبعد.**

**بعد ذلك ننتقل إلى الدقة في توجيه القراءات، وتحرير الأحكام: لعل أهم ما يميز أسلوب ابن جني في توجيه الشواذ: هو الدقة، بل الدقة البالغة، وهي تتجلى في اختيار الوجوه النحوية المناسبة، وتفضيل بعضها على بعض، كما تتجلى في تبيين الفروق الدقيقة بين وجوه القراءات، والأشعار، وسائر المصادر.**

**صحيح أن ابن جني كان يعمل دائمًا على إجراء المصلحة بين الوجوه؛ لتتلاقى عند قراءة العامة إلا أنه لم يتوان عن الإشارة الدائبة إلى كل أمر دقيق يتعلق بالقراءة أو الشاهد، وقد ساعده على ذلك معرفة واسعة بخفايا العربية، وأسرار العربية، فقد ذهب في قراءة علي بن أبي طالب >: "ولا نكتم شهادة الله" إلى أنها أعم من قراءة الجماعة {ﮰ ﮱ} [المائدة: 106] بالإضافة، ولكن قراءة الجماعة أفخم، وأشرف، وأحرى بترك كتمانها بإضافتها إلى الله .**

**ويمثل هذا الأسلوب مضي أبو الفتح يتأمل الوجوه، ويدقق النظر، ولعل أبرزها ما في هذه الدقة: تحريره لأحكامه في القراءات، والشواذ، فقد كان من عادة ابن جني في توجيه الشواذ أن يدقق النظر فيما يصدره من أحكام، وذلك من طريق ترك بعض الاحتمالات المترتبة على أحكامها، ودفع ما قد يغمض منها، يذكر من ذلك وموقفه في قراءة الحسن: "فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة"، فقد ذهب إلى أنها على حذف المضاف، وقدره بذو، وقودها ذلك أي: أن الوقود بالضم عنده هو المصدر، ولكنه لم يلبث أن استدرك على قوله هذا، ودفع الاعتراض الممكن، وقال: لكن قد جاء عنهم الوقود بالفتح في المصدر؛ لقولهم: وقدت النار وقودًا، وهو حس القبول منك، وكله شاذ، والباب هو الضم.**

**وكما عمد إلى التدقيق في القراءات فعل ذلك في شواهده، وحرر الأحكام فيها، ودفع ما يمكن أن يقال فيها، نذكر من ذلك: موقفه من قراءة ابن يعمر: "ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن" التي حذف فيها هو العائد على "ما"، واستشهد لها بقول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لم أر مثل الفتيان في غي** | **\*** | **الأيام ينسون ما عواقبها** |

**لكنه احتاط لاستشهاده بهذا البيت، وأشار إلى ما يحتمله أيضًا، وهو أن يكون "ينسون" معلقا كما علقوا نقيضه "يعملون"، وتكون "ما" استفهامًا، "وعواقبها" خبر.**

**إن كلامًا كثيرًا يمكن أن يقال في دقة ابن جني، وفي احتياطه لأحكامه، ولكن الإطالة هنا تبدو تكرارًا لما قاله كثير من الدارسين. أما عن التعليل: كان أبو الفتح مولعًا في توجيه الشواذ بذكر العلل في معظم ما يعرض له من تخريجات، وفي أغلب الأحكام فهو لا ينفك يذكر لكل مسألة علتها، ثم يكاد (المحتسب) يكون تعليلًا وتسويغًا، ففي قراءة الحسن: "وامسحوا برءوسكم وأرجلكم" ذهب إلى أنها على حذف الخبر، ثم علل ذلك بقوله: وكأنه بالرفع أقوى معنى؛ وذلك لأنه يستأنف فيرفع على الابتداء، فيصير صاحب الجملة.**

**والتعليل عنده يتصف دائمًا بنزعة منطقية، نذكر من هذه التعليلات: موقفه من قراءتي: "الحمد لله"، و"الحمد لله" قال: من قراءة "الحمد لله" قال: "إلا أن "الحمدُ" بضم الحرفين أسهل من "الحمدِ" بكسرها من الموضعين، أحدهما أنه إذا كان اتباعًا، فإن أقيس الإتباع أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب، فتكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال، وقد أكثر ابن جني من هذه التعليلات، فهو مذهب يستند إلى عقلية منطقية حادة، لا تركن إلى الظواهر إلا بالعلل والأسباب، وإذا كانت هذه العلل المنطقية مقنعة، فإن كثيرًا منها يجفو على علم اللغة.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**